افتتاحية العدد الرابع

على طريق التسوية

تصعيد ... تفاوض

الدكتور

يونس الجمرة

د.يونس الجمرة
مؤسسة عين السلطان للدراسات والأبحاث
إربد/ الأردن

Ibn Rushd

على طريق التسوية

تصعيد ... تفاوض

تتجه الأمور نحو مزيد من التعقيد والتداخلات بين مختلف الأبعاد الفلسطينية والعربية والدولية والإقليمية، حيث تشهد منطقة الشرق الأوسط حراكًا سياسيًّا وهي مقسّمة إلى أطراف عديدة. الطرف الإسرائيلي ومعه أمريكا يقابله طرف مقسّم إلى عدة أطراف وهو محور المقاومة أو الممانعة من العرب وإيران، وطرف آخر من العرب الذين يقفون على الحياد، وأخيرًا طرف لا يعنيه ما يجري في المنطقة مضافًا إليه الطرف التركي.

بدأ السابع من أكتوبر أو ما سُمّي "طوفان الأقصى" بين فريقين الفريق الاسرائيلي والفريق الفلسطيني في قطاع غزة، وكانت البداية من الفصائل الفلسطينية في القطاع، حيث شنّت هجومًا مزلزلًا على إسرائيل وأسرت مدنيين وعسكريين مما أعطى دافعًا للموقف الاسرائيلي الذي شنّ هجومًا بالأسلحة الحديثة من الجو والبحر والبر، وتوافد زعامات العالم الغربي على (إسرائيل) بدءًا من الرئيس الأمريكي بايدن والرئيس الفرنسي والبريطاني والألماني، وكل العالم الغربي المدافع عن المحتل الاسرائيلي محتجين على ما حدث من قبل المقاومة الفلسطينية وداعمين ومُصفّقين للمجازر التي ارتكبتها اسرائيل، وكأنهم يثأرون للمحرقة التي تعرّضوا لها في أوروبا من الفلسطينين، فلم يوّفروا شيخًا ولا امرأة ولا طفلًا ولا معبدًا ولا بيتًا متّبعين سياسة الأرض المحروقة وتدمير كل البنى التحتية والفوقية. فلم تسلم منهم مدرسة للأطفال، ولم يسلم منهم مشفى،

فأصبحت غزة قاعًا بلقعًا، وأخذوا يهددون الشعب بالقتل ومطاردتهم من الشمال إلى الجنوب والعكس، ومن البحر إلى حدود القطاع، وضاقت على الفلسطينيين الأرض بما رحبت حتى بلغت القلوب الحناجر. فسقط الشهداء بعدد أكثر من خمسة وأربعين ألفًا معظمهم أطفالًا ونساءً، وإصابة أكثر من مئة ألف عدا الذين ما زالوا تحت ركام البيوت المُهدّمة. ورغم صمود الشعب والمقاومة الفلسطينية في غزة وتواضع إمكاناتها العسكرية خلاف اسرائيل، إلّا أن التصعيد من قبل الاحتلال زادت وتيرته، وظنّ أنه سيقيم الدنيا ويُقعدها بالقضاء على المقاومة خلال أيام أوأسابيع... لكن تبيّن عكس ذلك، فقد غاصت القوات الإسرائيلية في رمال غزة، ودمرت المقاومة الكثير من آلياتها وعتادها وجنودها، وبقيت تقصف المدن الرئيسة مثل تل أبيب وغيرها بصواريخها محلية الصنع، ثم تبعتها المقاومة اللبنانية بمشاغلة الجيش الإسرائيلي بضربات لتخفيف وطأة الهجمات الاسرائيلية على المدنيين التي كانت تهدف إلى خلق حالة من التوتر بين المقاومة والشعب، ليضغط سكان قطاع غزة على المقاومين بوقف القتال.

وفي هذا السياق أعلنت أمريكا أن حركة حماس والحركات التي تواجه إسرائيل هي منظمات إرهابية... وهكذا بإعلان نتنياهو حالة الحرب استطاع أن يستخدم كل ما لديه من إمكانات عسكرية مع تقديم المساعدات له من كل القوى الغربية، فوضع خارطة طريق للحرب على غزة، تمثّلت أهدافها في:

١- القضاء على حماس وفصائل المقاومة في غزة.
٢- تحرير الرهائن في تلك الفترة والذين بلغوا ٢٥٠ فردًا مدنيًّا وعسكريًّا.
٣- التخطيط لليوم التالي والذي يعني الانتهاء من حماس وطردها وتجريد غزة من السلاح.

بدأ التحرك الأمريكي والعربي لتحرير بعض الرهائن مقابل تحرير بعض الأسرى من الفلسطينيين الذين يقبعون في السجون الاسرائيلية، وقد تمت الصفقة في الرابع والعشرين من شهر تشرين الثاني وانتهت في الأول من كانون الأول ٢٠٢٣ حيث

أطلقت حماس سراح ٨١ شخصًا من بينهم ٢٣ تايلندي وفليبيني واحد. أما الفلسطينيون الذين أُطلق سراحهم فكان عددهم ٢٤٠ أسيرًا فلسطينيًّا، منهم ١٠٧ أطفال، ثم قامت إسرائيل بعد ذلك باستئناف الهجمات الوحشية حيث ضجّ العالم لهذه الوحشية واستطاعت بسلاحها الجوي وعتادها الأمريكي أن تهدم البيوت وتسويها بالأرض، وعلى أثر ذلك تظاهر الطلاب في الجامعات الأمريكية واشتعل العالم غضبًا في أوروبا على ما يجري من قتل وتنكيل بالشعب الفلسطيني حتى أن محكمة العدل الدولية اعتبرتها إبادة لشعب أعزل بناء على الملف الذي تقدمت به دولة جنوب إفريقيا، واعتبرت المحكمة أن إدارة اسرائيل للضفة الغربية والقدس وقطاع غزة إدارة خطيرة، وهذا يتمثل بالنقاط الرئيسة التالية:

١- يعتبر الوجود الاسرائيلي المستمر في الأراضي الفلسطينية المحتلة غير قانوني.
٢- يجب على إسرائيل إنهاء وجودها في الأراضي المحتلة في أسرع وقت ممكن.
٣- يجب على إسرائيل أن توقف فورًا التوسّع الاستيطاني، وأن تقوم بإجلاء جميع المستوطنين من المناطق المحتلة.
٤- مطلوب من إسرائيل تقديم تعويضات عن الأضرار التي لحقت بالسكان المحليين والشرعيين في الأراضي الفلسطينية.
٥- على المجتمع الدولي والمنظمات الدولية عدم الاعتراف بالوجود الإسرائيلي في المناطق المحتلة.
٦- على الأمم المتحدة ان تنظر في الإجراءات الضرورية لإنهاء الوجود الاسرائيلي في المناطق المحتلة في أسرع وقت ممكن.

وبرغم التصعيد الحاصل من إسرائيل على الجبهتين الجنوبية في غزة والشمالية في لبنان، قامت على اسرائيل بتفجيرجهاز الاتصال المُسمّى (pagers) مما اصاب الكثير من حملته من أعضاء حزب الله، ناهيك عن الاغتيالات التي مارستها وما زالت لقادة حماس وحزب الله، فقد استطاعت اغتيال الأمين العام لحزب الله واغتالت من جاء

بعده، حتى قُدِّر عدد الين تم اغتيالهم من قادة الحزب خمسين قائدًا، ومارست نفس الفعل مع حماس من قبل فاغتالت العاروري في بيروت واسماعيل هنية في طهران وكذلك يحيى السنوار في غزة، وتسعى اسرائيل من خلال عملياتها في الشمال والجنوب إلى تصفية المقاومة في الجبهتين ، وإضعاف هاتين الجبهتين من أجل سكان الشمال الفلسطيني المحتل حيث أُفرغ من المستوطنين، ناهيك عن هروب المستوطنين الذين يسكنون في المستوطنات الموجودة في غلاف غزة وهاتان المنطقتان تشكلان السلة الغذائية لسكان إسرائيل فاضطرت اسرائيل إلى استيراد الخضار من الخارج، هذا خلاف قيامها بحجز الفنادق لسكان الشمال والجنوب، مما أدى إلى ارتفاع تكاليف الحرب مع الشمال والجنوب، عدا خسائرها المختلفة والناتجة عن التحاق الآلاف بالجيش من الاحتياط وهم موظفون في الشركات الاسرائيلية والهدف تغطية النقص العددي الناتج عن القتلى والمصابين، كما أن اسرائيل اضطرت إلى القيام بإصلاح آلياتها العسكرية المختلفة عن طريق توكيل شركات مختلفة نظرًا للنقص الواضح في معداتها القتالية.

ونتيجة لاعتداء اسرائيل على إيران، والتي تعتبر حماس في غزة وحزب الله في لبنان بأنهما يشكلان الذراع الإيراني في قتالهما ضد اسرائيل، فقد قامت إيران بضرب إسرائيل برشقة صاروخية أطلقت عليها الوعد الصادق ١ بسبب الاعتداء على سفارتها في دمشق، كذلك بعد اغتيال الأمين العام لحزب الله قامت بإطلاق رشقة صاروخية تصل كما قدّر العسكريون إلى مئتي صاروخ تحت عنوان الوعد الصادق ٢.

فأدان العالم الغربي ذلك واعتبروا أن الرد الاسرائيلي على إيران هو دفاع عن النفس، وهذا المصطلح (الدفاع عن النفس) شمّاعة يؤيّد بها داعمو اسرائيل من حلفائها بحربها على غزة ولبنان.

وهكذا توسعت الجبهات في وجه اسرائيل، فجاءت من قبل البوارج وحاملات الطائرات إلى المتوسط غربي فلسطين المحتلة لحماية إسرائيل، وكان ذلك رسالة موجهة إلى دول المنطقة التي ترى فيها أمريكا عدوًّا لدودًا لإسرائيل، ولا ننسى اشتراك اليمن في إغلاق

البحر الاحمر أمام الملاحة الاسرائيلية والسفن القادمة لها، وأطلقت مسيّرات وصواريخ على أرض فلسطين المحتلة دعمًا للشعب الفلسطيني واللبناني.

فانطلقت إسرائيل بكل جبروتها وأسلحتها المتفوقة على أسلحة المقاومة بمهاجمة السكان المدنيين ولكنها لم تستطع تحقيق إنجازات عسكرية مهمة. وما زالت تقوم بنفس الدور الذي تلعبه حتى تظهر بمظهر المُنقذ الأعظم لاسرائيل.

أما بخصوص المفاوضات التي كانت وما زالت والتي يقوم بعرقلتها نتنياهو، بحجة أن القتل والتدمير يحققان أهدافه العسكرية ونصره المطلق فإن هذا أيضًا يقابله قتل جنوده الذين ينتحرون ويرفضون المشاركة في القتال، ناهيك عن أعداد المرتزقة الذين يتم إحضارهم للانضمام للجيش الاسرائيلي والدليل على ذلك جنسيات الأسرى لدى المقاومة في قطاع غزة.

أما أهداف إسرائيل في عدم موافقتها على وقف إطلاق النار سواء في غزة أو جنوب لبنان، فهي التخلص من حماس والمقاومة الفلسطينية واعتبار اليوم التالي لوقف الحرب هو عدم تكرار أي هجوم في المستقبل كما يدّعي الكيان، والسيطرة على المنطقة (منطقة غزة) ووضع من يدير القطاع كما يرغب نتنياهو والبقاء في الحكم حتى لا يحال للقضاء، وإفشال قيام دولة فلسطينية متماسكة أو متصلة، وإنشاء ما يُسمّى بنظام الكنتونات، أي نظام يدير كل مدينة بشكل مستقل عن مدن الضفة الأخرى وغزة أيضًا، بمعنى أنه لا يقبل نتنياهو إيجاد دولة فلسطينية بجوار دولة إسرائيل. على أن تكون مدينة القدس العاصمة الأبدية لإسرائيل يُسمح فيها للمسلمين بالصلاة في الأقصى فقط وكذلك المسيحيون في كنائسهم، كما تعود السيطرة الإدارية لإسرائيل. أي فقط نظام مدني مستقل في كل مدينة على حدى، والحدود الخارجية لسيطرة الجيش الإسرائيلي، والإبقاء على المستوطنات وسكانها، وشطب حق العودة، والسيطرة والاستفادة من الموارد المتاحة في الضفة وغزة شريطة قبول من يرغب بالبقاء في الضفة أو القطاع وإلّا التهجير أو الترانسفير.

أما بخصوص لبنان فالأهداف واضحة ومحددة بالنسبة لنتنياهو فهي تطبيق القرار الدولي ١٧٠١، مع بعض التعديلات التي تقترحها اسرائيل وهي: وقف الأنشطة العسكرية المعادية لإسرائيل وانسحاب حزب الله إلى ما وراء الليطاني، وحرية النشاط البحري لإسرائيل وحرية النشاط في أجواء لبنان، ومراقبة مطار الحريري والحدود البرية الأخرى، وهذا يعني السيطرة التامة على لبنان، وقد تلجأ اسرائيل إلى فرض نظام الطوائف، أي إدارة مدنية للطوائف، فهذا يعني إلغاء ما يُسمّى جمهورية لبنان الحالية، حتى تكون سيطرة إسرائيل تامة عليها، وفي هذه الحالة يتم الانتهاء من عسكرة حزب الله وتحويله إلى حزب سياسي مدني.

حيث تحاول أمريكا مع إسرائيل كي لا تقوم بضرب إيران، وإن فعلت ذلك عليها تحاشي ضرب المفاعلات النووية والطاقة، حيث يمكن أن يؤثر ذلك على سعر الطاقة عالميًّا بحيث تتأثر أمريكا نفسها وأوروبا شريكتها بذلك مع قدوم فصل الشتاء. ويُترك لها ضرب المواقع العسكرية الإيرانية وقد تمت الضربة، والسؤال هنا هل ستصمت إيران وتقبل الضربة على مضض للحصول على تخفيف للحصار الأمريكي المفروض عليها، أم أنها سترد على إسرائيل بقوة إن رأت أن وضع قوات حزب الله قد انهار؟.. أمريكا تحاول أن تقدم إنجازًا للجمهور الأمريكي قبل الانتخابات حتى تحسّن وضع مرشحتها كامالا هاريس المرشحة للرئاسة الأمريكية.

المتغيرات سريعة ومفاجئة، والتحليلات السياسية للأوضاع بشكل عام قد تُصيب وقد تُخطئ، فكل يوم تدمير وقتل في غزة ولبنان، وخطط جنرالات اسرائيل الذين يسعون لتدمير غزة بالتمام والكمال، لكن هل ستسيطر إسرائيل على محيطها لتكون السيّد المُطاع في المنطقة؟ .. الحرب مستمرة والقتال مستعر وضروس بين المقاومة في الشمال والجنوب من فلسطين وإسرائيل.. لكن في النهاية هل التصعيد المستمر سيكون نحو التفاوض وعلى طريق التسوية؟؟